

# البدع و أثرها في انحراف التصور الإسلامي

الدكتور صالح بن عبد السحيمي \*

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup>

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ <sup>(٢)</sup>

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ <sup>(٣)</sup>

(★) ورد للكاتب ترجمة في العدد الحادي عشر ، صفحة ١٧١ .

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٧٠ - ٧١) .

أما بعد . . .

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

وبعد هذه الافتتاحية المشتملة على كثير من الفوائد والتي يسميها السلف خطبة الحاجة ، وقد كان رسول الله ﷺ يفتتح بها كلامه في أغلب أحيانه ويعلمها أصحابه كما يعلمهم القرآن ، لذا فإنه من الخطأ الشائع توهم كثير من الناس أن هذه الخطبة خاصة بعقد النكاح ، بل الصحيح أن هذه المقدمة مشروعة في أي موضوع خيري يريد أن يتكلم به متكلم . وبها نفتتح موضوعنا هذا والذي هو : « البدع وأثرها في انحراف التصور الإسلامي » فأقول : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ذلكم هو الدين القيم الخالد الصالح لكل زمان ومكان ، والمشتمل على كل ما من شأنه إسعاد البشرية في دنياها وأخرها ، وهو الدين الخالص الذي جمعنا الله به بعد الفرقة ، وأعزنا به بعد الذلة ، وألف بين قلوبنا بعد التمزق . فمن تمسك به وحافظ عليه وقام به خير قيام بفعل الأمور وترك المحظور دون زيادة أو نقصان ، فقد سعد وفاز برضا الله تبارك وتعالى وعونه وتوفيقه . . وأما من طلب الهدى من غيره واتخذ سبيلاً غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فذلك هو الخسران المبين الذي لا يعدله خسران ، وأصبح من حزب الشيطان .

﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) سورة آل عمران ، من الآية (١٩) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٨٥) .

(٣) سورة المجادلة ، من الآية (١٩) .

## طريق الخلاص :

وإن طريق الخلاص وعنوان السعادة وسبب النجاة من عذاب الله هو التمسك بكتاب الله تعالى ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى ﴾<sup>(١)</sup> فإنهما ، أعني الكتاب والسنة المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي .

## كمال هذا الدين :

فإن من أمعن النظر فيما شرعه الله لنا مما تضمنه الكتاب العزيز ودلت عليه السنة ، علم أن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة على أكمل وجه وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها . لا يحيد عنها إلا هالك قد مرض قلبه . . وخاسر قد طاش في مهاوي الضلال لبه . فإن الله تعالى قد بين للناس قواعد الدين وأكملها ، قال تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(٢)</sup> فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا هذا الدين بما أنزله في كتابه العربي المبين وعلى لسان نبيه الصادق الأمين . مما بلغ من الأحكام وبين لنا من حلال وحرام ، فلم يكن هناك من خير إلا دلنا عليه وسهل لنا الطرق الموصلة إليه ولم يكن هناك من شر إلا حذرنا منه ، كما قال ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو ( ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم )<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة النجم ، الآية (٤) .

(٢) سورة المائدة ، من الآية (٣) .

(٣) رواه مسلم بهذا المعنى في الإمارة .

## سبيل المؤمنين :

إذا كان الأمر بهذه المثابة فإن من طلب الهدى من غير الكتاب والسنة أو أتى بأمر زائد على ما شرعه الله فهذا بلا شك ضلال مبين وميل عن الصراط المستقيم واتباع غير سبيل المؤمنين وإن كان هذا شأنه لتحقيق بأن يكون واقعاً تحت هذا الوعيد الشديد الذي تضمنته هذه الآية الكريمة ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> .

فقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وما شرع من الدين القويم ، ونهى عن اتباع غير سبيل المؤمنين .

وقال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> فقد حث سبحانه على اتباع سبيله الذي هو الكتاب والسنة حثاً مقروناً بالنهي عن اتباع السبل ، مبيناً أن ذلك سبب للتفرق ، ولذا ترى المسلمين العاملين قد لزموا سبيلاً واحداً وهو سبيل الله الذي أمرهم بسلوكه ، وأما أهل البدع والأهواء فقد اختلفوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقد روى النسائي وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ( خط رسول الله ﷺ خطأ ثم قال : هذا سبيل الله . ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله ، وقال : هذه السبل المتفرقة وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ هذه الآية حتى بلغ ﴿ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> )

(١) سورة النساء ، الآية (١١٥) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥٣) .

(٣) سورة المؤمنون ، من الآية (٥٣) .

(٤) سورة المؤمنون ، من الآية (٨٧) .



تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالى ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بالبعد عن البدع والخرافات التي ابتدعتها المبتدعون وأحدثها المحدثون وروَّجها المبطلون وأكلة أموال الناس بالباطل من دعاة النحل المختلفة والطرق المتشعبة التي ليست من الإسلام في شيء وقد ذم الله تلك الطرق المنحرفة الكثيرة التي جعلت المسلمين شيعاً وأحزاباً وشَتَّتْ شملهم وجعلتهم لقمة سائغة لأعدائهم لا لقله عددهم وعدتهم وإنما نتيجة لتمزق شملهم وتفرق كلمتهم كما قال ﷺ : (توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها) قالوا : أَمِنْ قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : (بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل)<sup>(١)</sup> . ومما لا شك فيه أنه لا شيء أعظم فساداً للدين وأشد تقويضاً لبنانه وأكثر تفريقاً لشمل الأمة من البدع فهي تفتك به فتك الذئب بالغنم وتنخر فيه نخر السوس في الحب وتسري في كيانه سريان السرطان في الدم أو النار في الهشيم .

ولهذا جاءت النصوص الكثيرة تبالغ في التحذير منها وتكشف عن سوء عواقبها من التفرق والاختلاف في الدنيا والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ .

قال ابن عباس : تبيضُ وجوه أهل السُنَّة وتسودُّ وجوه أهل البدعة . وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣)

(١) رواه أبو داود في «الملاحم» بهذا المعنى .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات (١٠٥) ، (١٠٦) ، (١٠٧) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٥٩) .

وقد نص المفسرون رحمهم الله على أن الآية تعني أهل البدع والأهواء نقلاً عن كثير من السلف ، ولا ريب أن من أعظم أسباب التفرق تلك البدع والمحدثات التي هي شرع لم يأذن به الله ، وقد أخبر رسول الهدى ﷺ عن افتراق هذه الأمة بسبب انحرافها عن سنته القويمة وما عليه صحبه الكرام من بعده كما روى أبو داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم بأسانيد صحيحة عنه ﷺ أنه قال : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة . وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) ، وفي رواية ( أن أمته تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة ) والجماعة هي من كانت على الحق الذي كان عليه ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم . وصح عنه ﷺ أنه قال : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) فقيل : ومن هم الغرباء ؟ فقال : (الذين يصلحون ما أفسد الناس من سُنَّتِي) (١) .

ولقد أحدث المسلمون في دينهم من البدع والدخيل ما انحرف بكثير منهم عن سواء السبيل ، وشوّه عليهم حقيقة الدين ، ولبس عليهم حتى أصبح الكثير منهم لا يفرق بين الحق والباطل ، ولا يعرف البدعة من السنة ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وأغرقوا في ذلك حتى رأوا الحسن قبيحاً والقبيح حسناً على حد قول القائل :

يقضي على المرء في أيام محنته .. حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) (٢) فما يفتح لهم الشيطان باباً من الضلال إلا ولجوه ، ولا يزين لهم

(١) رواه مسلم في «الإيمان» بهذا المعنى .

(٢) سورة الكهف ، الآيتان (١٠٣) ، (١٠٤) .

طريقاً من طرق البدع إلا سلكوه ، وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم حتى بلغ شأواً بعيداً في تفريق الأمة وتمزيق شملها ، وقد ساعد على ذلك سكوت كثير من العلماء وتهاونهم وجبنهم عن مواجهة العامة خوفاً من غضبهم ومجاراة لهم ، وحرصاً على اجتلاب رضاهم ولو بسخط الله .

### حفظ هذا الدين وبقاؤه :

ولكن الله عز وجل لم يكن ليرك دينه لعبث هؤلاء المحدثين المبتدعين بل قيض له من أرباب الألسنة والأقلام قديماً وحديثاً من يهب للدفاع عنه ومحاربة كل دخيل عليه حيث تكفل سبحانه بحفظ هذا الدين وصيانته وإن تكالب عليه أهل الأرض جميعاً ، وقد حصل والله الحمد والمنة ، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

### وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة :

وقد تضافرت النصوص الكثيرة على الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا ونطق بهم وبه نطقوا وطبقوه بكل صدق وإخلاص وأمانة ، ووقفوا عند حدوده وحكموه في كل شئون حياتهم ، ولم يدخروا وسعاً في معانيه ومعرفة أسرارهِ ، وقد نوه الكتاب العزيز بفضلهم ونص على أن لهم اليد الطولى في الفضل والعلم والعمل الجاد الخالص ، قال تعالى مشيداً بفضلهم وأمرأً باتباعهم ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

(١) سورة الحجر ، الآية (٩) .

(٢) سورة الصف ، الآية (٨) .



ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ .

فهم خير من يقتدى به من بعد الرسول ﷺ وهم الذين نقلوا لنا هذا الدين . أولئك الأفضال الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى . . وإن القدوة أولاً وأخيراً هو رسول الله ﷺ قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢) فقد أمر الله بالتأسي به والاهتداء بهداه والاستنان بسنته . . وحذرنا من مخالفة أمره ورتب على ذلك ألواناً من الوعيد الشديد ، قال تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) . بل قد نبه الله تعالى بأنه ليس للمؤمن خيار إذا أمر الله أو أمر رسوله بأي أمر . قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٤) ، بل أخبر سبحانه أن طاعته ﷺ من طاعة الله تعالى ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٥) وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٦) أي بمخالفتكم لسنته التي سنّها لكم وبارتكابكم المنكرات والبدع والمخالفات .

### المرجع عند التنازع :

وأمرنا تبارك وتعالى بأن نرجع في كل أمر نختلف فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ حيث قال تعالى ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٧)

(١) سورة التوبة ، الآية (١٠٠) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .

(٣) سورة النور ، من الآية (٦٣) .

(٤) سورة الأحزاب ، من الآية (٣٦) .

(٥) سورة النساء ، الآية (٨٠) .

(٦) سورة محمد ، الآية (٣٣) .

(٧) سورة الشورى ، من الآية (١٠) .

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>(١)</sup>﴾  
فقد أمرنا بطاعة الله ورسوله وطاعة ولاية الأمور في حدود طاعة الله تعالى ثم أرشدنا إلى رد ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله أي إلى كتاب الله وسنة رسوله بل علق صحة الإيمان بذلك بقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾  
وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه ، من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة ، جاءت هذه البشارة في حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبقى ) ، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : ( من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى )<sup>(٢)</sup> . وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره ﷺ وذلك بالإحداث والابتداع في الدين .

### حكم الإحداث في الدين :

وبذا نعلم أن هذه النصوص دليل على أن كل من يقول باستحسان بدعة في الدين يكون له نصيب وافر ، وجزاء كبير من الوعيد المذكور فيها ، فإن من استحسَن بدعة بعقله القاصر المحدود وحث الناس على التعبد بها ما هو إلا مشاقة ومصادمة لهذه النصوص وعليه تبعة ذلك إلى يوم القيامة ، إذ أن من عمل خيراً وتبعه الناس عليه ضوعف له الأجر بقدر أجر من يتبعه في هذا الخير ، وعلى النقيض من ذلك فإن من عمل سوءاً كالابتداع مثلاً والإحداث في الدين فإنه لا يعاقب بوزر ارتكابه تلك البدعة فحسب بل يضاعف له العقاب حيث يتحمل وزر من تبعه في هذا

(١) سورة النساء ، الآية (٥٩) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة .

الأمر ، يدل لذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ( مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ) .

وعلى هذا فإن أي إحداث في الدين مردود على من أحدثه وغير مقبول لما روى الشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ( مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ) . وفي رواية ( مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ) .

وإنما كانت البدع مردودة على من عملها لأن إحداث مثل هذه البدع يفهم منه أن الله سبحانه ، لم يكمل الدين لهذه الأمة ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون المبتدعون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله ، وهذا ولا شك فيه خطر عظيم واعتراض على رب العالمين واستدراك على رسوله ﷺ واتهام له بالخيانة والكتمان وحاشاه ﷺ ذلك . كيف يكون هذا وهو القائل : ( مَنْ كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة )<sup>(١)</sup> . فهذا محال بالنسبة لسائر المؤمنين فكيف بقادوتهم وأسوتهم صلوات الله عليه وسلامه .

ومعلوم أن الله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة ، والرسول ﷺ قد بلغّ البلاغ المبين ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بيّنه للأمة . . كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ( ما بعث الله من نبيٍّ

(١) رواه الترمذي في « العلم » وابن ماجه في المقدمة بهذا المعنى .

إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم<sup>(١)</sup> .

ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم ، وأكملهم بلاغاً ونصحاً ، فلو كانت هذه البدع التي أحدثها الخالفون من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبينه الرسول ﷺ للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رضي الله عنهم ، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء ، بل هي من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة منها ما رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وابن ماجه ، بسند صحيح عن أبي نجيح العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : صَلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . فقال رجل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا ، فقال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) .

وروى مسلم في صحيحه ، كان النبي ﷺ يخطب الناس على المنبر ويقول : (أما بعد - فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) . زاد النسائي (وكل ضلالة في النار) .

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا بها كأنهم

(١) رواه مسلم بهذا المعنى في «الإمارة» .

تقَالوها . فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ فقال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً . وقال الآخر : أنا أصوم النهار أبداً ولا أفطر . وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء النبي ﷺ إليهم فقال : ( أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنني أخشاكم لله ، وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ) .

ولا ريب أن من أحدث عبادة من عند نفسه لم يشرعها الله قد رغب عن سنة رسول الله ﷺ ، ومن أعظم ما جاء من الوعيد في ذلك أن صاحب البدعة يحال بينه وبين التوبة لما ثبت عن النبي ﷺ : ( أن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته )<sup>(١)</sup> .

ويخشى أن يكون أهل البدع والأهواء ممن يحال بينهم وبين الشرب من حوض النبي ﷺ يوم القيامة .

فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ( أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم غيروا وبدلوا فيقول النبي ﷺ سحقاً سحقاً لمن غير وبدل ) . أي بعداً له فهذه براءة من النبي ﷺ ممن أحدث في الدين وغير وبدل . ومما لا شك فيه أن هؤلاء الذين يذادون عن الحوض من أمة محمد ﷺ أي من أمة الإجابة يدل لذلك أنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث بأن عليهم آثار الوضوء وإنما حيل بينهم وبين الحوض لما أحدثوه في الدين من عند أنفسهم ولم ينزل الله به من سلطان ، من تلك البدع والمنكرات والخرافات التي لا تعدو أن تكون من نسج خيالهم وبنات أفكارهم الضالة

(١) رواه ابن ماجه في المقلمة بهذا المعنى في باب اجتتاب البدع والجدل .

التي ظنوها حسنة وهي في الواقع من أقبح القبيح وأي قبيح أعظم من أن ينصب المرء نفسه مستدركاً على الله ورسوله ومشروعاً في دين الله بعد القرون المفضلة الأولى الذين هم خير الناس بعد صحابة رسول الله ﷺ .

كما قال ﷺ : ( خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) . وقد مضت تلك القرون المفضلة وليس لهذه البدع وجود أو رواج وإن وجد شيء منها فهو محدود وعلى نطاق ضيق يختفي أصحابها ولا يستطيعون الظهور لأنهم يشكلون أقلية بخلاف ما وصل إليه حال المسلمين اليوم فقد طغت البدعة ودرست السنة وتغيرت مفاهيم المسلمين وأصبح تصورهم للإسلام تصوراً خاطئاً وجعلوه في إطار ضيق ، فقد وصل مثلاً في بعض البلاد إلى حد كونه لا يعدو أن يكون مجموعة من الطقوس والاحتفالات التي قلدوا فيها أعداء المسلمين والإسلام مما جعلهم يوجهون سهامهم المسمومة إلى الإسلام بسبب ضلال من ضل من المسلمين عن الطريق السوي وانحرف كثير منهم عن الجادة الصحيحة التي رسمها لهم الإسلام وأمرهم أن يسيروا عليها ولا يحيدوا عنها يميناً أو شمالاً كما قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي توضح هذا المنهج القويم .

### حرص الصحابة على لزوم الكتاب والسنة والبعد عن البدع :

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أشد الناس حرصاً على العمل بالكتاب والسنة وأشدّهم عداوة وبغضاً للبدع وأهلها ، كذلك التابعون ومن جاء بعدهم ممن تبعهم بإحسان ، وسأورد نماذج من أقوال الصحابة

(١) سورة يوسف ، الآية (١٠٨) .

والسلف الصالح في ذم البدعة والمبتدعين والحث على لزوم السنة .

### من أقوال الصحابة في ذلك :

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : ( إنما أنا مثلكم ، وإنني لا أدري لعلمكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيقه ، إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقممت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني ) .

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه ينكر على جماعة من المسلمين كانوا قد جلسوا يذكرون الله بذكر على غير الهيئة التي جاءت عن رسول الله ﷺ فقد روى الدارمي في سننه أن رجلاً أخبر عبد الله بن مسعود أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا . وسبحوا الله كذا وكذا . واحمدوا الله كذا وكذا . قال عبد الله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء وكان رجلاً حديداً ، فقال : أنا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علماً . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً . فإذا كان ابن مسعود رضي الله عنه قد أنكر هذه الهيئة التي يذكرون الله بها رغم أن الذكر الوارد فيها مشروع بيد أنه أنكر عليهم الشكل والصفة وتخصيص هذا الوقت بالذات للذكر فكيف لو اطلع ابن مسعود على هذه الأذكار التي يذكر بها المسلمون اليوم وهي لا تمت إلى ذكر الله بصلة مما ابتدعه أصحاب الطرق الصوفية وغيرهم من الأذكار الإبليسية التي زينها لهم الشيطان منها ما يرددونه بصوت واحد من قولهم

(هو هو) أو (حي حي) وغير ذلك من ألوان الهذيان الذي يرددونه ويزعمون أنه ذكر لله في الوقت الذي لو سمعتهم وهم يترنمون بهذه الأذكار التي لا يفهم منها شيء في كثير من الأحيان لخيّل إليك أن أمامك سباعاً تتعاوى وتتهارش على فريسة بل تحولت أذكار كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم إلى أنواع من الرقصات المختلفة فضلاً عما يصحب ذلك من آلات الطرب والمعاظف واختلاط الرجال بالنساء وشرب المسكرات وغير ذلك من أنواع الفساد التي يملئها عليهم الشيطان ، فيا ليت شعري ، ماذا سيقول هذا الصحابي الجليل لو اطلع على هذه المناظر أو سمع تلك الأصوات المنكرة ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذا رسول الله ﷺ ينكر على الصحابة لما رفعوا أصواتهم بالتكبير ويقول : ( يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تنادون أصمًا ولا غائبًا )<sup>(٢)</sup> . ولا شك أن ذكر الله واجب من أعظم الواجبات التي حث عليها الإسلام كما قال تعالى ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَأَصِيْلًا ۝ ﴾<sup>(٣)</sup> . ومن أعظم وصايا النبي ﷺ قوله : ( لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله )<sup>(٤)</sup> . لكن لا بد أن يكون الذكر وفقاً للمعايير التي جاء بها الكتاب والسنة ، دون إفراط أو تفريط .

وجاء عن ابن مسعود أيضاً في ذم البدعة : ( اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ) ، وقال ابن عباس لمن سأله الوصية : ( عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع ) ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما : ( كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة ) . وقد روى هذه الآثار الكثيرة

(١) سورة لقمان ، من الآية (١٩) .

(٢) رواه البخاري في « الجهاد » باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٤١) ، (٤٢) .

(٤) رواه الترمذي في « الدعوات » .



الإمام الدارمي في سننه وآثاراً أخرى عن الصحابة والتابعين . وجاء في سنن أبي داود عن حذيفة رضي الله عنه قال : ( كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع لآخر مقالا ) .

هذه نماذج من أقوال الصحابة .

### من أقوال السلف بعد الصحابة :

وسنشر الآن في ذكر نماذج من أقوال التابعين وغيرهم من السلف في الحث على اتباع السنّة والتحذير من البدع ، فقد روى الدارمي في سننه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال : ( أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنّة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ) . ونقل الأوزاعي عن حسان بن عطية أحد التابعين الفضلاء قوله : ( ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة ) .

وقال أبو حنيفة رحمه الله : ( عليك بالأثر ، وطريق السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة ) ، وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : ( من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> )

فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ) . وقال الليث بن سعد : ( لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته ) . فلما بلغ ذلك الشافعي رحمه الله قال : ( إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته ) . وقال الإمام أحمد رحمه الله : ( أصول السنّة عندنا

(١) سورة المائدة ، من الآية (٣) .

التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء وترك البدع وكل بدعة فهي ضلال) .

وهكذا نجد مما تقدم من النصوص أن الكتاب والسنة والآثار والأخبار التي نقلت عن السلف الصالح تفيد من نظر فيها بتبصر وتدبر أن كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة في الأصول أو الفروع ، في العقائد أو العبادات أو المعاملات فعلية أو قولية أو تركية ، هي ضلالة صاحبها مؤاخذ معاقب عليها في النار ، وبدعته مردودة عليه غير مقبولة منه ، كيف وقد قال ﷺ : (إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنتي)<sup>(١)</sup> . وقال أيضاً : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)<sup>(٢)</sup> .

### السنة والبدعة :

إذا تبين ذلك فإنه قد يرد سؤال مفاده : ما هو الفارق والميزان الذي يميز به بين البدعة والسنة ؟ لأن كل مبتدع يزعم أنه على السنة ، بل يرى أن بدعته بعينها هي السنة ؟ فالجواب أن نقول : السنة في اللغة هي الطريق .. ولا ريب في أن أهل النقل والأثر والمتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه . هذا هو مفهوم السنة عند السلف بعبارة مختصرة هي : الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه .

هذا هو المعنى الذي يعنينا في هذا المقام ، وهناك تعريفات أخرى

(١) رواه مالك في «الموطأ» بهذا المعنى .

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين .

للسنة عند المحدثين والأصوليين والفقهاء ليس من غرضنا التعرض لها هنا .

وأما تعريف البدعة فإني أنقل باختصار التعريف الذي أورده الإمام العلامة الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه « الاعتصام » .

( وأصل مادة « بدع » ) للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قول الله

تعالى ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(١)</sup>

أي مخترعهما من غير سابق متقدم ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتداء طريقة لم يسبقه إليها سابق ، ويربط الإمام الشاطبي بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي فيقول : ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة ، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة ، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة ، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة ثم يستمر بالتمهيد للتعريف ، ويذكر أقسام الحكم التكليفي الخمسة حتى يتوصل إلى أن من المنهيات ما يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفاً لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود ، وتعيين الكيفيات ، والتزام الهيئات المعينة أو الأزمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك .

وهذا هو الابتداع والبدعة ويسمى فاعله مبتدعاً ، ومما تقدم يستنتج الشاطبي تعريف البدع في الدين فيقول : ( فالبدعة إذا عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه ) . ومعنى هذا التعريف وهو جامع مانع كما ترى فالطريقة والسبيل والسنن ألفاظ مترادفة وهو ما رسم للسلوك عليه وإنما قيدت بالدين لأن صاحبها يضيفها إليه ، خرج بذلك الطريق المخترعة في الدنيا كالصناعات مثلاً فإنها لا تسمى بدعة في الدين بهذا القيد وإن كانت مخترعة .

(١) سورة البقرة ، من الآية (١١٧) .

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم إلى قسمين . . فمنها ما له أصل في الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها .

خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع في الدين ، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع . وقوله في التعريف : تضاهي الشرعية ، يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة على رأس تلك الأوجه اتهام الشريعة بالنقص وعدم الكمال وهذا معلوم البطلان من الدين بالضرورة كما تقدم . وقوله : « يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التبعد لله تعالى » هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها . وذلك أن أصل الدخول فيها بحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك ، لأن الله تعالى يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup> فكان المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى .

فأراد أن يسلكه بأي وجه ولم يتبين له أن الشارع قد وضع لذلك حدوداً وضوابط وقوانين لا يجوز أن يزداد فيها أو ينقص .

### أمثلة من البدع الشائعة بين المسلمين :

إذا تبين الفرق بين السنة والبدعة من خلال التعريف ، فإنني أورد أمثلة للبدع التي عمت وطمت في أرجاء العالم الإسلامي حتى أصبحت عند الكثير من الناس سنة متبعة في الوقت الذي تركت السنن وهجرت تعاليم الإسلام وسأذكرها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ، منها : نذر الصيام قائماً لا يقعد أو ضاحياً لا يستظل . والانقطاع للعبادة وترك الكسب الحلال وإقامة المآتم وقراءة القرآن فيها والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة .

(١) سورة الذاريات ، الآية (٥٦) .

ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر على هيئة الاجتماع على صوت واحد . . ومنها التزام عبادات معينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة : كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته والاحتفال بيوم الإسراء والمعراج وتخصيصه بعبادة معينة علماً بأن تأريخه قد اختلف في تحديده وحتى لو عُرف فإن الله لم يميزه بعبادة مخصوصة ، وغير ذلك من البدع التي أحدثت بعد رسول الله ﷺ وأصحابه الغر الميامين الذين كان لهم قصب السبق في الذب عن حياض الإسلام والدفاع عن السنة المطهرة .

### أصل بدعة المولد :

ولما كانت البدع كثيرة يجلب عنها الحصر فإنني سوف أقصر الكلام بإيجاز على بدعة خطيرة ومحدثه عظيمة تمس شخصية رسول الله ﷺ بدعة الاحتفال بعيد مولده ﷺ .

وإن المتتبع للتأريخ الإسلامي يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين الأوائل بل ولا في القرون المفضلة حتى جاءت الدولة الفاطمية والتي انتسبت إلى فاطمة ظلماً وعدواناً بل إن المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودي يقال لهم العبيديون وهم أبناء ميمون بن ديسان المشهور بالقداح قيل إنه يهودي وقيل مجوسي وقد استمرت دولتهم في مصر من ( ٣٥٧ - ٤٦٧ هـ ) وقد احتفل الفاطميون بأربعة موالد : مولد النبي ﷺ ، وعلي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً .

فهم أول من أحدث ذلك كما ذكر المقرئزي وغيره . وظلت هذه البدعة يعمل بها حتى جاء ( بدر الجمالي ) الوزير الأول للخليفة الفاطمي ( المستعلي بالله ) وكان هذا الوزير شديد التمسك بالسنة ، فأصدر أمراً

بالغاء هذه الموالد ، وما أن مات (بدر الجمالي) حتى عادت البدعة من جديد .

واستمر الأمر على هذا الحال حتى جاء عهد صلاح الدين الأيوبي ، وكان أيضاً من المتمسكين بالسنة ، فألغى هذه الاحتفالات ، وتم تنفيذ هذا الإلغاء في كل أنحاء الدولة الأيوبية ، ولم يخالف في ذلك إلا الملك المظفر الذي كان متزوجاً من أخت صلاح الدين .

وقد ذكر المؤرخون أن احتفالات الملك المظفر بالمولد كان يحضرها المتصوفة حيث يكون الاحتفال من الظهر إلى الفجر ، وكان ما ينفق في هذا الاحتفال يزيد عن ثلاثمائة ألف دينار .

واستمرت بعد ذلك هذه الاحتفالات إلى يومنا هذا ، بل توسعوا فيها حتى امتدت إلى الاحتفال بمولد كل عظيم في نظر العامة وإن كان من الملحدين بحجة أنه من الأولياء ، ولا يخفى على الجميع مدى المنكرات والموبقات التي ترتكب في أسواق الموالد من شرب للخمور ، ولعب للميسر ، ورقص وغناء ، تؤديه النسوة في مجامع الرجال وغير ذلك من الكبائر ، حتى أصبحت كلمة المولد يضرب بها المثل في كل المجالات للفوضى والاستهتار ، وأعظم من هذا كله اعتقاد هؤلاء الجهال أن الرسول ﷺ يحضر المولد ، ولهذا يقومون له محيين ومرحبين ، بل يزعم بعضهم أنه يصفحه ، وهذا من أعظم الباطل بل هو غاية الجهالة والضلالة . فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل بأحد من الناس ، بل هو منعم في قبره وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة كما قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ﴾ (١٥) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١٦) .

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان (١٥) ، (١٦) .

وقال النبي ﷺ : ( أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع )<sup>(١)</sup> .

ونحن لا نلوم العامة الذين يفعلون مثل هذه الأمور وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ولكن اللوم يوجه إلى العلماء المنتسبين إلى العلم ، أولئك الذين يعرفون طريق الحق ولكنهم يحيدون عنها ، ولا ينكرون أن الاتباع أولى من الابتداع ، ولكنهم يتجاهلون هذا الحق الذي لا يجادل فيه ، فكيف يجهل هؤلاء أن حقيقة الحفاوة بذكرى مولد الرسول ﷺ ، تتركز في اتباع ما جاء به ، وإحياء سنته ، وأن هذه الذكرى الطيبة ليست مؤقتة بزمان وليست محددة بشهر ربيع الأول ، بل ينبغي أن نحياها ونحتفي بها في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل بقعة حللنا بها وذلك باتباع سنته والسير على نهجها ، وما أظن أن مسلماً يجهل أن الاحتفال بفكرة « المولد النبوي » أو غير ذلك من الموالد فكرة مبتدعة جاءتنا متأخرة ، وفيها تشبه باليهود والنصارى الذين لا يعرفون من الدين إلا الاحتفالات على رأس السنة بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أو غيره من الذي دس عليهم وليس من دينهم . ونحن قد قلدناهم في هذا العمل كما قلدناهم في أمور كثيرة وهذا بلا شك مصداق لقول الرسول ﷺ : ( لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ) . قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : ( فمن ) ، متفق عليه .

وقد خشي النبي ﷺ ذلك على أمته فقال : ( لا تجعلوا قبري عيداً )<sup>(٢)</sup> ، والعيد اسم لكل ما يعود ويتكرر أي لا تخصصوا لقبري يوماً بعينه تعودونه فيه ، فمن خصص يوماً من السنة كالثاني عشر من ربيع

(١) رواه مسلم في « الفضائل » .

(٢) رواه أبو داود في « المناسك » ، باب زيارة القبور .

الأول وقع تحت هذا التحذير ، ونحن بهذا لا ننكر زيارة قبره ﷺ إذا فعلت بالطريقة المشروعة وبدون شد رحال أو تخصيص يوم أو شهر معين لأن شد الرحال من أجل العبادة خاص بالمساجد الثلاثة التي جاءت في الحديث .

( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى )<sup>(١)</sup> ، والأعياد المعروفة في الإسلام ثلاثة أعياد فقط ، عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وعيد الأسبوع الذي هو يوم الجمعة ، وما عدا ذلك من الأعياد المحدثه ما هو إلا ضرب من البدع الضالة التي قلدنا فيها أعداءنا . ولا شك أن العواطف الكاذبة ودعوى حب الرسول ﷺ هي التي حدت بنا إلى أن نتدع ولا نتبع ، وكيف تجتمع دعوى محبة رسول الله ﷺ مع مخالفة أمره في النهي عن الإحداث في الدين (الضدان لا يجتمعان) على حد قول القائل :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه      هذا لعمرك في القياس بديع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع

وقد جعل الله تعالى ميزان محبته ودليلها هو اتباع رسوله ﷺ : قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> وبمنطوق الآية لا يعتبر محباً لله من خرج على الاتباع ولجأ إلى الابتداع ، ما من شك في أنه يجب على كل مسلم أن يقدم محبة رسول الله ﷺ حتى على نفسه فقد روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : ( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ) .

(١) رواه مسلم في «الحج» وأبو داود في «المناسك» ، باب إتيان المدينة .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣١) .



لكن هذه المحبة يجب أن تكون في الإطار الصحيح الذي جعله الله فيه بعيداً عن الغلو والتفريط فكأن أولئك الغلاة والمفرطين لم يسمعوا حديث عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله )<sup>(١)</sup> . وأي غلو أعظم من قول القائل :

يا أكرم الخلق ما لي من ألود به      سواك عند نزول الحادث العمم  
فإن من جودك الدنيا وضرتها      ومن علومك علم اللوح والقلم

ترى ماذا ترك الله بعد أن جعل جميع الكون بما فيه علم اللوح والقلم من إيجاد البشر . إن شخصية رسول الله ﷺ غنية عن هذا الإطراء وحسبه فخراً أن الله اختاره ليكون رحمة للعالمين وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهذه المنزلة وإن كانت أشرف منزلة ينالها مخلوق إلا أن ذلك لا يخرجها عن كونه بشراً تجرى عليه السنن الكونية التي تجري على البشر من الولادة والحياة والموت وغير ذلك من سنن الله في البشر ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن هؤلاء الغلاة قد أساءوا كل الإساءة إلى شخصية رسول الله ﷺ بما يلفقونه من الأحاديث الكاذبة والأخبار الزائفة التي تجعله في مصاف الإله ، مما فتح ثغرة ينفذ منها أعداء الإسلام والمسلمين إلى السخرية من الإسلام والطعن في شخصية رسول الله ﷺ .

إننا نعتز كل الاعتزاز بشخصية رسول الله ﷺ بأنه سيد ولد آدم ونعتز بتلك المعاني الحية والمبادئ القيمة التي جاء بها من عند الله ، لكن يجب

(١) رواه البخاري في باب ( واذكر في الكتاب مريم ) .

(٢) سورة الكهف ، الآية ( ١١٠ ) .

أن لا يحملنا هذا الاعتزاز على الخروج عن حدود المنزلة الصحيحة التي شرفه الله بها . وإننا نسأل ماذا سنقول بعد الثناء العطر الذي أثنى الله به عليه من نحو قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> وماذا سنقول بعد أن نوه الله باسمه ورسالته خمس مرات كل يوم كلما رفع الأذان ، وماذا سنقول بعد قول الله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾<sup>(٣)</sup> وآيات وأحاديث كثيرة تتحدث عن سمو منزلته ، لا يمكن حصرها في مثل هذه العجالة ، وفي ما أوردناه غنية لمن تدبر وتأمل ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لِقَوْلِ اللَّهِ أَوَّلَ السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام ، تلك الشبهة التي يتعلق بها أرباب الموالد ولا سيما مولد النبي ﷺ ، وذلك فهمهم الخاطئ الذي ينطبق عليه قول الشاعر : وآفته من الفهم السقيم . . . وهو ما توهموه من الحديث الذي رواه مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه ( أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن صوم الإثنين ، فقال صلى الله عليه وسلم : هو يوم ولدت فيه ، وفيه أنزل علي ) فقد تمسك هؤلاء بلفظه ( يوم ولدت فيه ) ثم عيّنوا هذا اليوم بالثاني عشر من ربيع الأول ، وذلك تخصيص من عند أنفسهم وهذا الاستدلال ظاهر البطلان لوجوه كثيرة ، منها :

١ - أن المطلوب في هذا اليوم أعني يوم الإثنين هو الصوم اقتداء

(١) سورة القلم ، الآية (٤) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .

(٣) سورة الشرح ، الآية (٤) .

(٤) سورة ق ، الآية (٣٧) .

بالرسول ﷺ ، بينما نرى أصحاب تلك الموالد يخصصون ذلك اليوم الذي عيَّنه للأكل والشرب والطرب فضلاً عن ما أحدثوه من أذكار ، وهتافات لا نجد لها برهاناً ولا هدى ولا حجة صحيحة .

٢ - أن الذي أمر به النبي ﷺ هو صوم يوم الإثنين من كل أسبوع دائماً ، ولم يقيد ذلك بسنة أو شهر أو أسبوع بعينه ، بينما هؤلاء يخصصون يوماً واحداً في السنة هو التاسع أو الثاني عشر من ربيع الأول على اختلاف بينهم حتى وإن لم يوافق هذا اليوم يوم الإثنين وبذلك يتضح وجه مخالفتهم أمر النبي ﷺ .

٣ - أن صيام يوم الإثنين له خصوصية أخرى ، إضافة إلى ما ذكر في هذا الحديث ، وذلك أنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى فندب النبي ﷺ إلى صومه كي تعرض أعمال العبد على ربِّه ، وهو صائم ، وذلك أخرى لقبولها ، كما جاء ذلك في أكثر من حديث عنه ﷺ .

فأي الفريقين أولى بالاتباع ، وأقرب إلى الصواب ؟ أهم أولئك الذين يصومون الإثنين من كل أسبوع ويعيشون ذكرى رسول الله ﷺ في كل لحظة من لحظات حياتهم بمتابعته والصلاة والسلام عليه كلما ذكر . أم أولئك الذين لا يعرفون ذكره إلا يوماً واحداً في السنة بلا هدى ، ولا كتاب مبين . ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

### دفع توهم :

وإذا كان القرآن والسنة النبوية وما جاء عن سلف الأمة وعلى رأسهم الصحابة قد دل على التحذير من البدع وأن هذه الأمور التي ذكرناها آنفاً بما فيها الاحتفال بالموالد دخيلة على الدين فإن ثمة سؤالا مفاده : ما هي

(١) سورة الأنعام ، من الآية (٨١) .

الشبه والأدلة التي تشبث بها المبتلون بحب هذه البدع ؟ والجواب على ذلك أن نقول : إن هذه الشبه لا تخرج عن أمرين ، إما نصوص صحيحة يحرفون فيها الكلم عن مواضعه ويصرفونها عن معانيها الحقيقية وإما أحاديث واهية أو موضوعة شحنوا بها كتبهم ونسبوها إلى رسول الله ﷺ كذباً وزوراً .

مثال ذلك حديث ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وحديث اختلاف أمتي رحمة وحديث توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم وغير ذلك من الأحاديث الملفقة والتي تصدى لها علماء السنة بالبحث والتنقيب وبينوا عللها وخطورتها وما تنطوي عليه تلك الأحاديث المنكرة من المعاني الخطيرة والدسّ الرخيص على الإسلام ، وإتاحة الفرص لنيل الأعداء من الإسلام ، ولكن الله قيض لهذه الأمة من طهر أحاديث النبي ﷺ من الدخيل وذلك بعلم الإسناد الذي لا شك أنه من أعظم ما ميّز الله به هذه الأمة . قال عبد الله بن المبارك رحمه الله : ( لولا الإسناد لقال في السنة من شاء ما شاء ) .

ولما كانت هذه الأحاديث التي تعلقوا بها كثيرة فإنني لن أتوسع في سردها وإنما أحيل إلى كتب السنة وما ألف في خدمتها ففيها غنية لمن رزقه الله العقل وحسن البصيرة ولكن الذي سنلقي عليه الضوء بشيء من الكشف والبيان هي تلك النصوص التي صرفوها عن ظاهرها زاعمين أنها تؤيد ما أحدثوه من البدع ، منها :

أولاً : حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه قال : قال رسول الله ﷺ : ( من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها

ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ) .  
فقد تمسكوا بلفظة ( من سن في الإسلام سنة حسنة ) وفرعوا على ذلك  
الفهم أن البدع قسمان ، بدعة حسنة وبدعة قبيحة ففسروا السنة هنا  
بالبدعة وكأن معنى قوله ﷺ : من سن أي من أحدث وابتدع ، وهذا  
مردود من أربعة وجوه .

الوجه الأول : سبب ورود الحديث ، فقد قال جرير رضي الله عنه :  
( كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ قَوْمٌ عَرَاةٌ مَجْتَابِي  
النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَتُهُمْ مِنْ مَضَرَ ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ  
مَضَرَ ، فَتَمَتَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى فِيهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ ، فَدَخَلَ  
ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَنَ ، وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿ يَأَيُّهَا  
النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ  
رَقِيبًا ﴾ وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من  
صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمره ) . قال : فجاء رجل من  
الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع  
الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول  
الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة ، فقال رسول الله ﷺ : ( من سن .. وذكر  
الحديث ) <sup>(٣)</sup> . فقد ظهر أن سبب ورود الحديث هو حاجة هؤلاء القوم ،  
لذا أمرهم النبي ﷺ بالصدقة فبادر هذا الصحابي بصدقته وتبعه الناس  
في ذلك على أمر أمره به النبي ﷺ فضلاً عما ورد في القرآن من الحث  
على الصدقة ، فهذه القصة نفسها تنقض مفهومهم الخاطئ .

(١) سورة النساء ، من الآية (١) .

(٢) سورة الحشر ، من الآية (١٨) .

(٣) رواه مسلم في « الزكاة » ، باب الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار .

**الوجه الثاني :** ما تقدم من الفرق بين السنة والبدعة من أن السنة هي الطريق المتبع والبدعة هي الإحداث في الدين ، هذا المفهوم هو الذي عليه علماء الأمة خلفاً عن سلف ولم ينقل عن أحد منهم أنه فسر السنة الحسنة بالبدعة التي يحدثها الناس من عند أنفسهم ولم ينزل الله بها من سلطان .

**الوجه الثالث :** فهم السلف قاطبة من قوله ﷺ : ( من سن سنة أي أحيا سنة من سنن الرسول ﷺ حين يميتها الناس ويتبعه الناس في هذا الإحياء الذي دعاهم إليه يوضح ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم ، فقال : قال رسول الله ﷺ : ( من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيء ) فإن قوله : من دعا إلى هدى تفسير لما أجمل في قوله من سن سنة حسنة ، وبالمقابل ( من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيء ) .

وقد دلت الأحاديث على أن كل بدعة ضلالة بدون استثناء لأي نوع من البدع فمن دعا إلى بدعة محدثة في الدين فقد دعا إلى ضلالة سواء سماها بدعة حسنة أو لم يسمها كذلك .

**الوجه الرابع :** قالوا : بأن البدعة قسمان — حسنة وقبيحة — وهو تقسيم من عند أنفسهم وبمحض عقولهم الفاسدة ، ونحن نوجه إليهم هذا السؤال : كيف نعرف أن هذا العمل حسن أو قبيح ؟ وبالطبع سيجيب كل عاقل بأن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ولا يعرف هذا إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة ، فيقال لهم حينئذ : إن الكتاب والسنة قد دلا على ذم البدع كما تقدم في الأدلة ، فما وجه تقسيمكم هذا ؟

**ثانياً :** يستدل كثير من أهل البدع بما يروى عن عمر رضي الله عنه من قوله : نعمت البدعة هذه رداً على من أنكر عليه أمره الناس بصلاة التراويح جماعة في المسجد خلف أبي بن كعب يستدلون بهذه القصة توهماً منهم أن ما فعله عمر بدعة ، وهذا باطل من وجوه ..

**الوجه الأول :** أن عمر رضي الله عنه لم يفعل بدعة وإنما فعل سنة كان النبي ﷺ قد فعلها ثم تركها خشية أن تفرض على الأمة كما بين ﷺ ذلك ولم ينه الناس عن فعلها مما يؤكد بقاء سنتها .

**الوجه الثاني :** أنه قال هذه الجملة على سبيل المجاز فتسميتها بدعة باعتبار أنها لم تفعل في عهد أبي بكر رضي الله عنه تجوزاً لأن عمر هو الذي بدأ إحياء هذه السنة خصوصاً وقد زالت علة خشية الفرضية بانتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

**الوجه الثالث :** ربما قال عمر ذلك تهكماً بمن قال له إنك فعلت بدعة فلعلم عمر أنها ليست بدعة رد عليه بهذه الجملة على سبيل الإنكار .

هذا وهناك شبه أخرى قد يتعلقون بها ولو تأملناها لوجدناها لا تخرج عن هذا الإطار الذي هو تحميل النصوص ما لا تحمل من المعاني الفاسدة الباطلة .

وهناك تقسيمات للبدع ذكرها القرافي وغيره لا نجد لها مستنداً أو معياراً صحيحاً يمكن أن يؤخذ به كتقسيمهم البدع إلى حقيقية وإضافية ، أو حسنة وسيئة ، أو كلية وجزئية ، أو بسيطة ومركبة ، أو فعلية وتركيبية ، أو غير ذلك من التقسيمات المصطنعة المتكلفة التي لا تستند إلى دليل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

